Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

Political Ideology According to the Divine and Material Worldview

Haydar Al-Husaini
Phd Candidate in Political Jurisprudence, Al-Mustafa International University, Iraq.
E-mail: alsafa10@yahoo.com

Abstract

This paper discusses political ideology according to two worldviews: the divine and the material. The importance of this study stems from two aspects. First: the importance of a worldview and its fundamental effect in the ideological system a person has in all his theoretical and scientific dimensions. Second: the major importance political ideology has, which is the ideology that influences the formulation of theories and political stances. It is clear that politics holds a central importance in a human's life, throughout history, because a human is social in nature, so he cannot be without political order and laws in its general sense. This study has more importance in the time we are in now, where we see a clear increase in the influence of politics and political ideology in every aspect of our lives. This research aims at conducting a comparative study between two fundamental types of worldviews, and they are the divine worldview, and the material worldview, and it argues that each of these two worldviews lead to a political worldview that is different theoretically, in its foundations and theories, and also different in practice, as far as its methods, means and practical results, in what each worldview leads to. The methodology used in this paper is a comparative study methodology, comparing between the divine worldview and the material worldview.

Keywords: Worldview, Divine Worldview, Material Worldview, Political Ideology.

Al-Daleel, 2024, Vol. 7, No. 24, PP .134-168
Received: 12/04/2024; Accepted: 06/05/2024
Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research
©the author(s)

مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
الدليل Al-Daleel

الأيديولوجيا السياسية في ضوء الرؤية الكونية الإلهية والمادّية

حيدر الحسيني
طالب دكتوراه في الفقه السياسي، جامعة المصطفى العالمية، العراق.
البريد الإلكتروني: alsafa10@yahoo.com

الخلاصة

يتناول هذا المقال دراسة الأيديولوجيا السياسية في ضوء الرؤيتين الكونيتين الإلهية والمادّية، وأهمّية هذا المقال تنشأ من جهتين، الأولى: أهمّية الرؤية الكونية وتأثيرها الأساسي في المنظومة الفكرية للإنسان في مختلف المجالات النظرية والعملية، والجهة الثانية: الأهمّية الكبرى التي تحظى بها الأيديولوجيا السياسية، وهي الأيديولوجيا المؤثّرة في صناعة النظريات والمواقف السياسية، ومن الواضح أنَ السياسة حظيت بأهمّية محورية في حياة الإنسان على مرّ العصور؛ لأنّ الإنسان كائن اجتماعي بالطبع فلا يمكنه الاستغناء عن النظم والقوانين السياسية بمعناها العامّ، ويزداد البحث أهمّيةً في عصرنا الراهن الذي شهد زيادةً واضحةً في تأثير السياسة والأيديولوجيا السياسية في كلّ نواحي حياتنا، ويسعى هذا المقال إلى إجراء دراسة مقارنة بين النمطين الأساسيين من الرؤية الكونية، وهما: الرؤية الكونية الإلهية، والرؤية الكونية المادّية، ويقوم بإثبات أنّ كلّ واحدة من هاتين الرؤيتين الكونيتين تؤدّي إلى أيديولوجيا سياسية تختلف في الجانب النظري ـ من حيث المباني والنظريات، وكذلك في الجانب العملي من حيث الطرق والأساليب والنتائج العملية ـ عمّا تؤدّي إليه الرؤية الكونية الأخرى. والمنهج الذي عملنا وفقًا له في هذا المقال هو المنهج التوصيفي والتحليلي للمقارنة بين الرؤيتين الكونيتين الإلهية والمادّية.

الكلمات المفتاحية: الرؤية الكونية، الرؤية الكونية الإلهية، الرؤية الكونية المادّية، الأيديولوجيا، السياسة.

مجلة الدليل، 2024، السنة 7، العدد 24، ص. 134 ـ 168
استلام: 2024/04/12، القبول: 2024/05/06
الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث
© المؤلف

المقدّمة

لا ريب أنّ الإنسان كائن يسعى وراء الكمال، بل هو الهدف الأسمى الذي يسعى وراءه، ومن هنا لا بدّ قبل كلّ شيء معرفة كمال الإنسان الحقيقي، والشرط الأساسي لمعرفة كمال الإنسان هو معرفة الإنسان نفسه، فما لم نعرف الإنسان لا يمكننا معرفة كماله، فمن يرَ الإنسان ذا بُعدٍ واحدٍ وهو البُعد المادّي، ويقم بتفسير جميع الحالات النفسية والروحية للإنسان بتفسيرات مادّية صرفة، يفسّر كماله بالكمال المادّي فقط، وذلك خلافًا لمن يرى أنّ الإنسان ذو بُعدين أحدهما مادّي، والآخر معنوي وروحي مجرّد عن المادّة، وهو البُعد الحقيقي وجوهر الإنسانية؛ فإنّه يفسِّر كمال الإنسان تفسيرًا آخر يختلف تمامًا عن مجرّد الكمال المادّي، ويرى أنّ كمال الإنسان بكمال روحه وحالاته المعنوية، كما أنّ الإنسان محبٌّ بطبعه للسعادة وطالبًا للراحة النفسية والمادّية، ومن الواضح أنّ الكمال أمرٌ حقيقيٌّ ويقابله النقص، وأمّا السعادة فهي شعورٌ وإحساس داخلي يشعر به الإنسان عند تحقّق بعض الأمور من قبيل النجاح والربح، ويمكن القول إنّ الكمال مبدأ للسعادة، أي أنّه يؤدّي إلى الشعور السعادة، فالعلم كمالٌ يؤدّي إلى الشعور بالسعادة، وأمّا فيما يرتبط بمحلّ بحثنا فنقول إنّ الأيديولوجيا السياسية (Political ideology) يمكن أن تكون من مبادئ ومقدّمات تحقيق الكمال للإنسان وما يستتبعه من سعادة، فإنّ الأيديولوجيا عامّة والسياسية منها خاصّة إذا أقيمت على رؤية كونية صحيحة فإنّها ستؤدّي إلى تأسيس نظريات صحيحة، ويستتبع ذلك نتائج نافعة تُساعد في تحقيق كمال الإنسان وسعادته، وأمّا لو كانت الرؤية الكونية (Worldview) خاطئةً، فإنّ الأيديولوجيات الناشئة عنها والنظريات القائمة على أساسها تكون فاسدةً، وتكون نتائجها العملية وخيمةً على الإنسانية، والرؤية الكونية الصحيحة هي التي تُلاحظ الوجود كلّه لا تتجاهل أو تُنكر منه شيئًا، كما أنّها لا تُضيف إليه شيئًا وهميًّا غير موجود؛ لأنّ إنكار شيء من مراتب الوجود أو إثبات ما ليس بموجود يؤدّي كلاهما إلى رؤية كونية ناقصة أو وهمية، والرؤية الكونية المادّية تتجاهل أهمّ قسمي الوجود، ألا وهو الوجود المجرّد، وعالم ما وراء الطبيعة الذي هو بحسب التحقيق الفلسفي أعلى مرتبة من الوجود المادّي؛ لأنّه علّة له ومتقدِّم عليه، كما أنّ الوجود المجرّد له مراتب أيضًا أعلاها [1] واجب الوجود (الله تعالى) الذي هو علّة العلل ومنشأ كلّ وجودٍ وكمال وخير وسعادة، كما في

1- قال الشيخ فياضي في "شرح نهاية الحكمة": «فالطولية هي مراتب الوجود الّتي كلّ سابقة منها أقوى من لاحقتها، وعلّة لها، وكلّ لاحقة منها أضعف من سابقتها، ومعلولة لها» [الطباطبائي، محمدحسين، نهاية الحكمة، ج 1، ص 88 مع تعليق الشيخ غلام رضا فياضي].

قـوله تعـالى: ﴿**اللَّهُ خَالِـقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُـوَ الْوَاحِـدُ الْقَهَّـارُ**﴾ [سورة الرعـد: 16]، فـإنّ مـن يتجاهلـه أو يُنكر وجـوده تكـون رؤيتـه الكونيـة ناقصـةً، ونتائجهـا ناقصـةً طبعًـا.

اتّضـح أنّ الرؤيـة الكونيـة الصحيحـة هي الأسـاس لـكلّ بنـاء فكـري وعمـلي، ونحـن نـرى أنّهـا الرؤيـة الكونيـة الإلهيـة؛ لأنّهـا قائمـة على البراهـين والأدلّـة القطعيـة، وبنـاءً على تلـك البراهـين تتبـنى هـذه الرؤيـة سـعة عالـم الوجـود واشـتماله على بُعـد أعلى مـن الوجـود المـادّي، كمـا تلاحـظ هـذه الرؤيـة الوجـود الحقيـقي كلّـه لا تتجاهـل منـه شـيئًا، وتُلاحـظ الإنسـان ببُعديـه المـادّي والمعنـوي، وتـرى أنّـه روح وجسـد، وتسـعى إلى تلبيهـة احتياجـات كلا القسـمين مـع التركـيز بنحـو أكـبر على الـروح؛ لأنّهـا حقيقـة الإنسـان وجوهـره وموطـن كمـاله وسـعادته الأبديـة، مـع عـدم إغفالهـا احتياجـات البـدن لمـا لهـا مـن أهمّيـة في حيـاة الإنسـان المادّيـة، ومـن تأثـير على الـروح، ونحـن نحـاول في هـذا المقـال بعـد بيـان المفاهيـم أنْ نسـتعرض أهـمّ الاختلافـات بـين الرؤيتـين الإلهيـة والمادّيـة فيمـا يؤدّيـان إليـه مـن أيديولوجيـات سياسـية، ثـمّ نذكـر أهـمّ النتائـج الـتي تتمخّـض عنهمـا.

والهـدف مـن هـذا المقـال هـو تسـليط الضـوء في دراسـة مقارنـة على الرؤيتـين الكونيتـين المتقابلتـين وهمـا الرؤيـة الكونيـة الإلهيـة، والرؤيـة الكونيـة المادّيـة، ودراسـة تأثيرهمـا في بنـاء الأيديولوجيـا السياسـية، فالرؤيـة الكونيـة الإلهيـة تختلـف عـن الرؤيـة الكونيـة المادّيـة فيمـا ينشـأ عنهـا مـن أيديولوجيـات سياسـية، وبمـا أنّ المسـألة المحوريـة في السياسـة هي الحُكـم والسـلطة ومنشـأ مشروعيتهـا، فـلا بـدّ أوّلًا مـن البحـث عـن منشـإ مشروعيـة الحاكميـة والسـلطة.

اتّضـح ممّـا مـرّ أهمّيـة الأيديولوجيـا السياسـية؛ لأنّهـا تقـع ضمـن مقدّمـات تحقيـق الكمـال والسـعادة للإنسـان، والأيديولوجيـا السياسـية إذا أقيمـت على رؤيـة كونيـة صحيحـة تـؤدّي إلى نظريـات سياسـية صحيحـة، كمـا تـؤدّي إلى نتائـج عمليـة نافعـة للإنسـان في دنيـاه وآخرتـه.

والمنهـج الذي اتبعنـاه في هـذا المقـال هـو منهـج الدراسـة المقارنـة بـين الرؤيتـين الكونيتـين الأساسـيتين وهمـا الرؤيـة الكونيـة الإلهيـة، والرؤيـة الكونيـة المادّيـة.

المبحث الأوّل: مفردات البحث

الرؤيـة لغـةً: تنقسـم الرؤيـة إلى قسـمين رؤيـةٌ بالعـين وهي تختـصّ برؤيـة الأشـياء المادّيـة، ورؤيـة معنويـة وهي بمعـنى العلـم والمعرفـة، قـال في صحـاح اللغـة: «الرؤيـة بالعـين تتعـدّى إلى

مفعـول واحـد، وبمعـنى العلـم تتعـدّى إلى مفعولـين. يقـال: رأى زيـدًا عالمًـا» [الجوهـري، الصحاح، مـادة رأى]، وقـد ورد نفـس هـذا النـص في لسـان العـرب وأضـاف في اللسـان: «الرُّؤيَـةُ النَّظَـرُ بالعَـيْن والقَلْـب» [ابـن منظـور، لسـان العـرب، مـادة رأى].

الرؤيـة في بحثنـا: اتّضـح مـن كلام اللغويـين أنّ للرؤيـة معنيـين أساسـيين وهمـا الرؤيـة بالعـين وتختـصّ بالأشـياء المادّيـة وتتعـدّى إلى مفعـول واحـد، والرؤيـة بمعـنى العلـم والإدراك، وتتعـدّى إلى مفعولـين ومنـه قـوله تعـالى: ﴿**وَيَـرَى الَّذِيـنَ أُوتُـوا الْعِلْـمَ الَّذِي أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ مِـنْ رَبِّـكَ هُـوَ الْحَـقَّ وَيَهْـدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيـزِ الْحَمِيـدِ**﴾ [سـورة سـبإ: 6]. ومـن الواضـح ممّـا تقـدّم أنّـه يُقصـد مـن الرؤيـة المسـتعملة في تركيـب "الرؤيـة الكونيـة" معـنى العلـم والإدراك.

الكـون لغـةً: قـال في لسـان العـرب: «الكَـوْنُ: الحَـدَثُ...، والكائنـة: الْحَادِثَـةُ...، الْكَائِنَـةُ: الأَمـر الْحَـادِثُ. وكَوَّنَـه فتَكَـوَّن: أَحدَثَـه فَحَـدَثَ...، وكَـوَّنَ الـشيءَ: أَحدثـه...، وَاللهُ مُكَـوِّنُ الأَشـياء يُخْرِجُهَـا مِـنَ الْعَـدَمِ إِلَى الْوُجُـودِ» [ابـن منظـور، لسـان العـرب، مـادة: كـون].

الكـون اصطلاحًـا: قـال الجرجـاني: «عنـد أهـل التحقيـق "الكـون" عبـارة عـن وجـود العالـم مـن حيـث هـو عالـم لا مـن حيـث إنّـه حـقٌّ، وإن كان مرادفًـا للوجـود المطلـق العـامّ عنـد أهـل النظـر وهـو بمعـنى المكـوّن عندهـم» [الشريـف الجرجـاني، التعريفـات، ص 81]. وكذلـك «الكـون عنـد أهـل النظـر مـرادف للوجـود المطلـق العـامّ، ويطلـق على وجـود العالـم مـن حيـث هـو عالـم، لا مـن حيـث أنّـه حـقّ، أو على العالـم مـن جهـة مـا هـو ذو نظـام محكـم» [صليبـا، جميـل، المعجـم الفلسـفي، ص 247].

الكـون في الاصطـلاح العلـمي الحديـث: كلّ مـا حولنـا، مـن النجـوم الـتي نراهـا ليـلًا في السـماء، والـتي تتجمّـع في مجمـوعات تعـرف بالمجـرّات، إلى الفضـاء الواقـع بـين هـذه المجـرّات، ومـا يوجـد بـه مـن غازات وغبـار كـوني، بالإضافـة إلى أيّ شيء يقـدّر له الوجـود وراء حـدود مـا نـراه. [مجموعـة مؤلفـين، الموسـوعة الإسـلامية العامـة، ص1207]

ويـراد مـن الكـون في بحثنـا هـذا هـو المعـنى العلـمي وهـو المعـبّر عنـه بالإنجليزيـة (worldview) أي النظـرة إلى العالـم أو الكـون، غايـة الأمـر أنّ نظـرة الإلـهي للكـون، أو الرؤيـة الكونيـة الإلهيـة تُلاحـظ العالـم بمـا هـو أثـر ومعلـول لـلإله، والرؤيـة الكونيـة المادّيـة تـراه مسـتقلًا موجـودًا بذاتـه، كمـا أنّ الكـون نفسـه يختلـف سـعةً وضيقًـا بـين الرؤيتـين، فـفي الرؤيـة الإلهيـة تـراه يشـمل مضافًـا إلى عالـم المـادّة عوالـم أخـرى مـن المجـرّدات، وأمّـا الرؤيـة المادّيـة، فإنهـا ضيّقـة تقتـصر على المـادّة وخواصّهـا وآثارهـا.

وبناءً على ما تقدّم يمكننا تعريف الرؤية الكونية بأنّها: «مجموعةٌ من المعتقدات والنظرات الكونية المتناسقة حول الكون والإنسان، بل وحول الوجود بصورةٍ عامّةٍ» [مصباح يزدي، دروس في العقيدة الاسلامية، ص 22]. ومن الواضح أنّ استعمال الكون في هذا التعريف لا يشمل مطلق الوجود.

الإلهية: الإلهية لغة نسبة إلى الإله، و:«إلاهٌ، عَلَى فِعالٍ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ؛ لأنّه مأَلُوه أَي مَعْبُودٌ، كَقَوْلِنَا إمامٌ فِعَالٌ بِمَعْنَى مَفْعول لأَنّه مُؤْتَمٌّ بِهِ» [ابن منظور، لسان العرب، مادّة "ألـه"].

الإلهية اصطلاحًا: «تطلق على كلّ من يعتقد بأنّ مبدأ الوجود لهذا العالم هو إله، قادرٌ، عالمٌ، حيٌّ، ترجع إليه جميع الكمالات الوجودية في العوالم الإمكانية» [العبود، الرؤية الكونية الإلهية الدوافع والمناهج، ص 15].

الرؤية الكونية الإلهية: هذا المصطلح مركّب من ثلاث مفردات تقدّم بيانهما، وعليه يكون المقصود من الرؤية الكونية الإلهية: النظرية التي تعتقد بأنّ عالم الوجود يشمل عالم المادّة، وعالم ما وراء المادة وهو ما يُسمّى بعالم ما وراء الطبيعة، وأهمّ موجودٍ في دائرة عالم ما وراء الطبيعة واجب الوجود أو الإله أو الخالق الذي لولاه لما وجدت الممكنات، وكذلك تؤمّن هذه الرؤية بتأثير عالم ما وراء الطبيعة في بناء الأيديولوجيا عامّة والسياسية خاصّة، كما تؤمن باستمرار حياة الإنسان بعد الموت في عالمٍ آخر وهو عالم الآخرة، فالإنسان كائنٌ دائم الحياة لا يفنى بالموت، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة العنكبوت: 64].

الرؤية الكونية المادّية: وهي النظرية القائمة على الاعتقاد بعالم المادّة فقط، وإنكار ما وراء الطبيعة فهي تحصر عالم الوجود بالمادّة لا غير ولا تؤمن بما سواها، ومن الطبيعي أنّه على أساس هذه الرؤية أنّه لا معنى لما وراء الطبيعة، كما أنّه لا معنى لأيّ تأثير لما سوى المادّة في بناء الأفكار والأيديولوجيات، وخاصةً الأيديولوجيات السياسية، ومن الطبيعي أنّ الرؤية الكونية المادّية لا تؤمن بوجود الروح ولا بعالم الآخرة؛ لأنّ ذلك كلّه يدخل فيما وراء الطبيعة الذي تنكره هذه الرؤية [2].

2- أشار القرآن الكريم إلى هذه الرؤية بقوله: ﴿**وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**﴾ [سورة الأنعام: 29]. ومن الواضح أنّ المادّيين في كلّ العصور - وخاصّةً المعاصرين - يرون أنّ الحياة تقتصر على هذه الحياة الدنيا؛ لأنّ الإنسان جسدٌ فقط، وإذا مات يتحلّل جسده، ولا معنى لاستمرار حياته بعد موته.

الأيديولوجيا: الأيديولوجيا مصطلح غربي دخيل على اللغة العربية تعني في أصلها علم الأفكار، لكنّ معناها شهد تغييراتٍ كثيرةً؛ ولذلك نجد لها تفسيراتٍ عديدةً [انظر: العروي، مفهوم الأيديولوجيا، ص 9]، ويمكن القول إنّ للأيديولوجيا معنيين اصطلاحيين، أحدهما أعمّ من الآخر:

1ـ مطلق النظام الفكري والعقدي، فتشمل الأفكار النظرية الخالصة، والأفكار العملية المتعلّقة بسلوك الإنسان.

2ـ النظام الفكري المحدّد لنمط سلوك الإنسان. وعندما تستخدم الأيديولوجيا في قبال الرؤية الكونية، فالمقصود منها هو المعنى الخاصّ الّذي يعني مجموعة الأفكار العملية الّتي تحدّد الشكل العامّ لسلوك الإنسان. [مصباح يزدي، دروس في العقيدة الاسلامية، ص 23]

ونحن نستخدم مصطلح الأيديولوجيا في المعنى الثاني وهو المعنى الخاصّ.

وبناءً على ما تقدّم تكون الرؤية الكونية مجموعةً من النظريات والأفكار المنسجمة حول الكون والإنسان، بل وحول الوجود بصورة عامّة وتدور حول ما هو موجود، والأيديولوجيا هي النظام الفكري العملي أي النظام الباحث في سلوك الإنسان وأفعاله أو ما ينبغي فعله وما لا ينبغي.

السياسة لغةً: فقد ورد في لسان العرب: «كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياهم، أي تتولّى أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعيّة، والسياسة القيام على الشيء بما يُصلحه» [ابن منظور، لسان العرب، مادّة سوس].

السياسة اصطلاحًا: وللسياسة في الاصطلاح تعريفات كثيرة تدور كلّها حول محور السلطة والحاكمية وإدارة شؤون الناس من قبيل تعريفها بأنّها: "فنّ الحكم" كما هو منقول عن سقراط، وكذلك المنقول عن أفلاطون من أنّها "فنّ حكم الناس برضاهم"، وكذلك هي: "علم الحكومة، وفنّ علاقات الحكم". وتطلق على مجموعة الشؤون التي تهمّ الدولة أو الطريقة التي يسلكها الحكّام. [جاسم زكريا، المدخل إلى علم السياسة، ص 3]

وأمّا تركيب "الأيديولوجيا السياسية" التي يُعبّر عنها أيضًا بعبارة "المذهب السياسي" فهي بمعنى البرنامج السياسي المتكامل الذي تقدّمه العقيدة أو الرؤية الكونية، وقد استخدم علماء الاجتماع السياسي مصطلح الأيديولوجيا السياسية للإشارة إلى مجموعة مفاهيم نلخّصها

في «معالجة التساؤلات حول الحاكم وكيف يتمّ اختياره، وما ميادين ممارسة الحكم، كما أنّ الأيديولوجيا السياسية تؤثّر في مجموعة من قيم الحياة الرئيسية، وتضمن برنامجًا للدفاع عن النظم الاجتماعية الأساسية وإصلاحها أو هدمها، كما أنّها تعبّر عن الطابع المعياري والأخلاقي على مستوى الشكل والمحتوى» [أحمد أنور، النظرية والمنهج في علم الاجتماع، ص 8 و9].

المبحث الثاني: أقسام الرؤية الكونية ومقوّماتها

أوّلًا: أقسام الرؤية الكونية

يمكن تقسيم الرؤية الكونية من حيث أسس المعرفة وأساليبها إلى أربعة أقسام:

1ـ الرؤية الكونية الفلسفية: وهي الرؤية الناشئة عن النظر والتأمل العقلي البرهاني، فهذه الرؤية الكونية المقصود منها هو ما يتم إثباته بالطريقة العقلية غير التجريبية.

وبما أنَّ موضوع الفلسفة هو الموجود بما هو موجود فهي أشمل الرؤى لأنها لا تغفل عن شيء من الوجود، نعم البحث الفلسفي يختص بالأمور الكلية ولا يتعرض للمسائل الجزئية.

2ـ الرؤية الكونية العلمية: وهي ما يتوصل إليه الإنسان أو علماء الطبيعة من رؤية عامة حول الوجود من خلال معطيات العلوم التجريبية.

وبما أنَّ موضوع العلوم التجريبية موضوعها هو المادة وخواصها، وما يمكن أنْ يقع تحت المشاهدة والتجربة المادية، فإن الرؤية الكونية القائمة عليها لا تشمل الوجود كله حتى بناءً على أصحاب هذه الرؤية لأن الوجود كله لم ينكشف علميّا حتى الآن، والبحوث العلمية تكتشف أشياء جديدة باستمرار يوما بعد يوم مما يؤدي إلى تغيير هذه الرؤية تبعا لها، كما أنَّ هذه الرؤية من وجهة نظر الفلسفة الميتافيزيقية تُعدُّ رؤية كونية ضيّقة الأفق وناقصة لأنها تختص بطبقة من الوجود، أو بعالمٍ واحدٍ من عوالمه وهو عالم المادة.

3ـ الرؤية الكونية الدينية: وهي الرؤية الحاصلة عن طريق النقل أو ما جاءت به الأديان.

وبما أنَّ هذه الرؤية الكونية ناشئة من الدين، والدين منشؤه خالق الوجود العالِم بكل تفاصيله، فإنها رؤية كونية شاملة.

4ـ الرؤية الكونية العرفانية: وهي الرؤية الحاصلة عن طريق الكشف والشهود، وتهذيب النفس والسلوك نحو الله. ويرى أصحاب هذه الرؤية أنها شاملة. لكنها على أقل تقدير

تختص بفئة من الناس وهم الذين يتحقق لهم الشهود كما هو واضح. [أنظر: مصباح اليزدي، الإيديولوجية المقارنة، ص19]

ثانيًا: مقوّمات الرؤية الكونية الإلهية

بالتأمل في الرؤية الكونية الإلهية يُعلم أنها تستفيد بمستويات مختلفة من مصادر المعرفة الأربعة (العقل، والنقل، والتجربة، والشهود)، وإن كان الثقل الأساسي فيها يقوم على الرؤية الكونية الفلسفية، فإن الرؤية الكونية الفلسفية تُقدِّم رؤية شاملة حول الوجود كله، كما أنها قائمة على الاستدلال والبرهان، لكنها تختص بالأمور الكليّة ولا تتعرض للجزئيات، ومن هنا يُمكن ملء المناطق التي يكون موضوعها جزئيا بواسطة النقل والتعبّد الذي يمكنه الوصول إلى الجزئيات التي لا تبلغها الفلسفة وبذلك تكتمل الرؤية الكونية الإلهية من خلال التعاضد بين الرؤية الكونية الفلسفية والرؤية الكونية الدينية، وكذلك يمكن الاستفادة من معطيات العلم التجريبي في تفسير أو تكميل الرؤية الكونية الإلهية، وأما الشهود والعرفان والرؤية الكونية العرفانية الناشئة عنه فإنها تُمثِّل تجربة شخصية وخاصة ولذلك يتوقف الاستفادة منها تحقيق الحال في العرفان ومبانيه وبعد التسليم بذلك يمكن مساهمتها في بناء الرؤية الكونية الإلهية وإلا فلا، وليس هذا مجال البحث في تحقيق هذه المسألة.

ثالثًا: مقوّمات الرؤية الكونية المادية

المصدر المعرفي الرئيسي الذي تقوم عليه الرؤية الكونية المادية هو الحس والتجربة، وكذلك تعتمد على نوع من الاستدلال العقلي أو الفلسفي، ومن هنا تقوم هذه الرؤية على العلوم التجريبية وخاصة علمين أساسيين وهما:

علم الفيزياء في مجال معرفة المادة ومكوناتها وتفسير العلاقات القائمة بينها وكيفية نشوئها وهل هي أزلية أم لا وما إلى ذلك من تساؤلات. ويتفرّع من الفيزياء علم الكونيات (Cosmology)[3] الذي يتصدى لتفسير الفضاء بما يحتويه من كواكب ونجوم ومجرات وغيرها مما يتألّف منه الكون المادي بشكل عام.

وعلم الأحياء في تفسير ظهور الحياة والكائنات الحية، وكذلك تقوم بتفسير جميع الظواهر

3- عرّفه في معجم مصطلحات العربية بقوله: "علم الكونيات، الكُزْمُولوجيا Cosmology: فرعٌ من الفلسفة ينصبُّ على دراسة القوانين العامة للكون في أصله، وتكوينه، ونظامه". [مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 257].

الإنسانية من أخلاق ودين وما إلى ذلك على أساسٍ ماديّ.

ومن الواضح أنَّ هذه الرؤية الكونية ليس فيها أيُّ مجال للدين فضلا عن العرفان.

المبحث الثالث: أنواع الأيديولوجيا ومجالاتها

تقدّم أنَّ الأيديولوجيا هي مجموعة الأفكار العمليّة الّتي تحدّد الشكل العامّ لسلوك الإنسان، فهي النظام الفكري العملي أي الباحث في سلوك الإنسان وأفعاله أو ما ينبغي فعله وما لا ينبغي، وفي ضوء هذا البيان للأيديولوجيا، سنقتصر هنا على أهم أنواع الأيديولوجيا والمجالات التي تؤثِّر فيها وهي الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة:

أوّلًا: الأيديولوجيا الاجتماعية

المراد من الأيديولوجيا هنا هي تلك الأفكار التي تلعب دورًا هامًّا في البُعد الاجتماعي، ويمكنها تحقيق الوحدة والانسجام على المستوى الاجتماعي من خلال تحديد مسار الرأي العام نحو وجهةٍ معيّنة وهدف موحَّد [انظر: خاكي قراملكي، الأيديولوجيا دراسة في المصطلح والمفهوم وحقول الاستعمال، ص203].

تتطرق النظريات الاجتماعية في تحليلاتها النظرية إلى بيان القواعد الحاكمة على الأنظمة الاجتماعية، وتُقيّم مستوى أدائها، وتعُدُّ المنظومة القِيميّة المتغيّر الاساسي في مجال التكامل المرجو للمجتمع أكثر من أي شيء آخر، ولا نبالغ في الحقيقة لو وصفناها بكونها محورًا حقيقيا وارتكازيا للثقافة الشمولية الحاكمة على المجتمع؛ وهذه المنظومة القِيميّة يمكن تسميتها إيديولوجيا اجتماعيّة. [انظر: المصدر السابق، ص 205]

ثانيًا: الأيديولوجيا الاقتصادية:

إنَّ من وظائف الأيديولوجيا في الاقتصاد رسمُ هيكلٍ عامٍ لنظام اقتصادي متناسقٍ، وفي ضوء النمط الأيديولوجي يتبلور النظام الاقتصادي للمجتمع، ومن هنا فإن الأيديولوجيا تساهم في توحيد المنظومة الاقتصادية، كما أنّها تُمثِّل معيارًا لتقييم الأمور والحكم عليها [انظر: المصدر السابق، ص 184] وتتنوع الأيديولوجيات الاقتصادية إلى رأسمالية، واشتراكية، وإسلامية وغيرها. ومن هنا يُبيِّن الشهيد الصدر أنَّ الاقتصاد الإسلامي ليس منفصلا عن الرؤية الكونية والإيديولوجيا قائلًا: "ارتباط الاقتصاد الإسلامي بمفاهيم الإسلام عن الكون والحياة وطريقته

الخاصة في تفسير الأشياء، كالمفهوم الإسلامي عن الملكية الخاصة وعن الربح. فالإسلام يرى أنّ الملكية حقّ رعاية يتضمّن المسئولية وليس سلطاناً مطلقاً. كما يعطي للربح مفهوماً أرحب وأوسع ممّا يعنيه في الحساب المادّي الخالص" [الصدر، اقتصادنا، ص341].

ثالثًا: الأيديولوجيا السياسية

الأيديولوجيا السياسية هي مجموعة النظريات والأفكار في المجال العملي، والّتي تحدّد الشكل العامّ للسلوك السياسي، وعليه فهي النظام الفكري العملي السياسي أي الباحث فيما ينبغي فعله وما لا ينبغي في المجال السياسي. ومن الواضح أنَّ الإيديولوجيا تلعب دورًا هامًا في مجال السياسة فهي تُساهم في إيجاد الانسجام والتلاحم في المجتمع، وتؤثّر في تعيين الوجهة السياسية للقادة والنخبة السياسية، كما أنها تُحدد مسار مختلف الشرائح الاجتماعية في هذا المضمار. [انظر: خاكي قراملكي، الأيديولوجيا، ص194]

تقدّم أنَّ الرؤية الكونيّة الخاصة تؤدي إلى الأيديولوجيا خاصة تتناسب معها، وأن الكونية الإلهية تنتج عنها أيديولوجيا سياسية تتناسب مع أصولها ومبادئها، كما أنَّ الرؤية الكونيّة الماديّة تؤثر في الأيديولوجيا السياسية ومن ثم في السياسة نفسها ومن هنا يقول أحد الباحثين:

"تؤثر الأيديولوجيا على السياسة بطرق مختلفة. فمن الممكن أن تحمل الأيديولوجيا نظرة أو منظور محدد يمكن من خلاله فهم العالم وتفسيره. وعلى سبيل المثال يمكن القول إن الذين يتبنون النّظريّة الماديّة التّاريخيّة لهم طبيعة تفسير للظواهر الاجتماعيّة والإنسانيّة وتحليلها، وكيفية التّعاطي معها بطريقة مختلفة عن غيرهم. ووفقًا لذلك نرى أن هذه الأيديولوجيات هي المحدد الأساسي للأهداف السياسيّة والملهمة للفعل السياسي أيضًا. من زاوية أخرى فإنّ معظم رجال السياسة يمتلكون أفكارًا، ومعتقدات وقناعات يحاولون طرحها وتطبيقها عند حيازتهم للسلطة" [زلغوط، الأيديولوجيا ووظائفها السياسيّة، مجلة أوراق ثقافية، مجلد 3،عدد 12].

كما يرى عالم الاجتماع كارل مانهايم (Karl Mannheim) أنّ الأيديولوجيا تؤثّر في المجال السياسيّ لأنّها: "منظومة فكرية تتعلق بالنّظام الاجتماعيّ والسياسيّ القائم دفاعًا عنه، أو تغييرًا له" [غيضان، الإيديولوجيا في الدين والسياسة، مجلة الاستغراب، شتاء 2017].

المبحث الرابع: أثر الرؤية الكونية على الأيديولوجيا السياسية

أوّلًا: العلاقة بين الرؤية الكونية والأيديولوجيا السياسية

الرؤيـة الكونيـة ـ كمـا تقـدم ـ هي: "مجموعـةٌ مـن المعتقـدات والنظـرات الكونيّـة المتناسـقة حـول الكـون والإنسـان، بـل وحـول الوجـود بصـورةٍ عامّـةٍ"، وهـذه المعتقـدات موضوعهـا الكـون والإنسـان، كمـا أنَّ الأيديولوجيـا السياسـية هي النظـام العمـلي الذي يقـوم بتنظيـم العلاقـة بـين السـلطة والنـاس، وكذلـك يُنظِّـم علاقـات النـاس فيمـا بينهـم، كمـا تضـع الأيديولوجيـا السياسـية الضوابـط المُحـددة لتعاملهـم مـع العالـم المحيـط بهـم بنحـو عام فتضـع القوانـين لضبـط هـذه العلاقـات كلهـا، ومـن هنـا تتضـح حاجـة هـذه الأيديولوجيـا إلى أنْ تقـوم على رؤيـة كونيـة محـددة لا محالـة. ومـن المفـروض أنْ يكـون التأثـير مـن جهـة واحـدةٍ أي أنَّ التأثـير هـو للرؤيـة الكونيـة في الأيديولوجيـا السياسـية فقـط، وأمـا تأثـير الأيديولوجيـا السياسـية في الرؤيـة الكونيـة فهـو غـير منطـقي وباطـل، لكـن ربمـا يقـع بعـض النـاس في هـذا الخطـأ المنهـجي فتؤثـر الأيديولوجيـا السياسـية الـتي نشـأوا عليهـا في تبنيهـم لرؤيـة كونيـة خاصـة تتناسـب معهـا، كمـا هـو الحـال في تأثـير العواطـف والمشـاعر والتقليـد الناشـئ عنهمـا لدى كثـير مـن النـاس في تحديـد متبنياتهـم الفكريـة وتحديدهـم للحـق والباطـل، فحبهـم للآبـاء مثـلا يدفعهـم إلى تقليدهـم ويجعلهـم يعتقـدون أنهـم على حـق، مـع أنَّ الترتيـب الصحيـح هـو معرفـة الحـق أولا ثـم يتبعـه الحـب والبُغـض والسـلوك العمـلي.

وبنـاءً على مـا تقـدّم يمكـن بيـان العلاقـة بـين الرؤيـة الكونيّـة والأيديولوجيـا السياسـية مـن خـلال الإجابـة عـن سـؤالين مهمـين وهمـا:

السؤال الأول: هل هناك علاقة بين الرؤية الكونية والأيديولوجيا عامة والسياسية خاصة؟

والجـواب عـن هـذا السـؤال هـو: "إن أي أسـلوب وأيـة فلسـفة في الحيـاة لا بـد أن يكونـا مبنيين شـئنا ذلـك أم أبينـا ـ على لـون خـاص مـن الاعتقـاد والنظـر والتقييـم للوجـود، وعلى لـون معـين مـن التفسـير والتحليـل...، ويعتمـد كل واحـد مـن الأديـان والشرائـع، والمبـادئ والفلسـفات الاجتماعيـة على رؤيـة كونيـة معينـة". [مطهـري، الرؤيـة الكونيـة التوحيديـة، ص8]

ومـن هنـا يُعلـم أنَّ أي نظريـة أو فلسـفة في الحيـاة أو أيديولوجيـا لا بـد مـن قيامهـا على رؤيـة كونيـة معيّنـة، ويـؤدي اختـلاف الرؤيـة الكونيـة إلى اختـلاف الأيديولوجيـا الناشـئة عنهـا بـلا

ريب، وكما هو واضح إنَّ أي سلوك عملي يتخذه الإنسان لا بد من قيامه على عقيدة أو رؤية كونية محددة، وهذا الارتباط يُمثِّل حقيقةً واقعيّة يدركها العقل بتحليل كل من الفكر والعمل، فيصل إلى نتيجةٍ مفادها أنَّ كل عملٍ لا بد من نشوئه عن فكر وإرادة وهو معنى قولنا أنه لا يمكن نفي هذا الارتباط بين السلوك العلمي والعقيدة.

السؤال الثاني: ما هو نوع العلاقة بين الرؤية الكونية والأيديولوجيا عامة والسياسية خاصة؟

أجيب عن هذا السؤال بعدّة أجوبة:

الجواب الأول: الرؤية الكونية تولِّد بصورة ذاتية أيديولوجيا خاصة بها، أي أنَّ الرؤية الكونية علّة تامة للأيديولوجيا، واختلاف الأيديولوجيات نتيجة قهريّة لاختلاف الرؤى الكونية.

النقاش: إنَّ القول بالعليّة التامة غير صحيح، وستتضح عدم صحة هذا الجواب عند بيان الجواب الثالث.

الجواب الثاني: الأيديولوجيا لا علاقة لها بالرؤية الكونية مطلقا، والمسألة ذوقية فيمكن اختيار أي أيديولوجيا مع أي رؤية كونية.

النقاش: هذا الجواب باطلٌ أيضاً، لأنّ أصل العلاقة بين الرؤية الكونية والأيديولوجيا واضحٌ، وإنما الكلام في طبيعة هذه العلاقة، وهو ما سيتضح بنحو أكبر في الجواب الثالث.

وبعد النقاش في هذين الجوابين يمكن اختيار جواب آخر وهو:

الجواب الثالث: هناك علاقة بين الرؤية الكونية والأيديولوجيا بنحو عام والسياسية بنحو خاص، لكنها من قبيل علاقة المعلول بعلته الناقصة والمشروط بشرطه اللازم، فالأيديولوجيا بحاجة إلى رؤية كونية، لكن الرؤية الكونية لا تكفي لوحدها لتعيين أيديولوجيا بشكل ذاتي، وإنما ينبغي ضم مقدمات أخرى إليها لكي تنشأ أيديولوجيا معينة، وهذه المقدمات تختلف من قضيّة لأخرى، ونوضِّح ذلك بالقضيّة القائلة: "الله موجودٌ" كإحدى قضايا الرؤية الكونية، لا يمكن أنْ نستنتج منها وحدها قضيّة "يجب عبادة الله" كقضيّة إيديولوجية لاحتياجنا إلى مقدمات أخرى فإن مجرّد إثبات وجود الله، لا يُثبت وجوب عبادته، بل يجب بالإضافة إلى ذلك إثبات صفاته الكمالية التي يترتب عليها استحقاقه للعبادة من قبيل أنه المالك الحقيقي وأنه المولى الحقيقي، وأن المالكية والمولوية

الحقيقيـة تسـتوجب الطاعـة ومـا إلى ذلـك مـن مقدّمـات، ولكننـا مـن دون القضيّـة الأولى لا يمكـن إثبـات القضيّـة الثانيـة، وعليـه إذا كانـت الرؤيـة الكونيـة صحيحـة، والمقدمـات الملحقـة بهـا صحيحـة، وطريقـة التنظيـم والاسـتنتاج صحيحـة، تنشـأ حينئـذ أيديولوجيـا صحيحـة.

[انظر: مصباح اليزدي، الإيديولوجية المقارنة، ص 12 – 13]

هـذا هـو الترتُّـب الصحيـح بـين الرؤيـة الكونيـة والأيديولوجيـا، لكـن هـذا الترتيـب وهـو كمـا قلنـا على نحـو العلـة الناقصـة أو الـشرط الـلازم إنمـا يتـم بـين الإيديولوجيـا كنظـام فكـري عمـلي منسـجم داخليـا، والرؤيـة الكونيـة كنظـام فكـري نظـري منسـجم كذلـك، وأمـا الأيديولوجيـات والـرؤى الكونيـة الملفّقـة الـتي لـم يـراعَ فيهـا الانسـجام المنطـقي الداخـلي فـلا يتوقّـع منهـا أنْ تكـون بينهـا مثـل هـذه العلاقـة والارتبـاط. [انظر المصدر السابق]

ثانيًا: الرؤية الكونية الإلهية والمادية الآثار والنتائج في الأيديولوجيا السياسية

لا شـكّ أنَّ الفـارق الأسـاسي بـين الرؤيتـين الكونيـة الإلهيـة والماديـة يكمـن في أنَّ الإلهيـة تؤمـن بعالـم مـا وراء الطبيعـة، وخاصـة الإله الخالـق للكـون، والرؤيـة الكونيـة الماديـة لا تؤمـن بعالـم مـا وراء الطبيعـة ولا بـالإله، مـن الطبيـعي أنَّ الإيمـان يترتّـب عليـه لـوازم نظريـة وعمليـة، والرؤيـة الكونيـة الماديـة تُنكـر ذلـك ومـا يترتـب عليـه مـن لـوازم، وأمـا الاختـلاف بينهمـا في مجـال الأيديولوجيـا السياسـية فإنـه مترتـبٌ على اختلافهمـا في الرؤيـة الكونيـة طبعـا، وبعـد اتضـاح الفـارق الأسـاسي بـين الرؤيـة الكونيـة الإلهيـة والماديـة سـوف نُطلـق على الأيديولوجيـا السياسـية الناشـئة عـن الرؤيـة الكونيـة الإلهيـة عنـوان: الأيديولوجيـا السياسـية الإلهيـة، وعـن الناشـئة عـن الرؤيـة الكونيـة الماديـة عنـوان: الأيديولوجيـا السياسـية الماديـة.

أ ـ الأيديولوجيا السياسية الإلهية اللوازم والنتائج

تنطلـق الايديولوجيـا السياسـية الالهيـة مـن رؤيـة كونيـة تؤمـن بمـا وراء الطبيعة، وأهـم موجود فيـه هـو واجـب الوجـود (الله تعـالى) كمـا تؤمـن بصفـات كماليـة ثابتـةٌ له بالبراهـين والأدلـة القطعيـة لا مجـال هنـا للبرهنـة عليهـا بـل نأخذهـا مفروضـات مُسـلَّمة ـ وأهـم تلـك الصفـات فيمـا يرتبـط ببحثنـا هي: العلـم المطلـق، والحكمـة التامّـة، والعـدل الحقيـقي المطلـق، وبنـاءً عليـه تعتقـد هـذه الرؤيـة بـ"محوريـة الله" فهـو منشـأ الوجـود، والقانـون، والأخـلاق، والسياسـة، وكل شيء، ولذا لا بـد أنَّ تلـتزم بلـوازم هـذا الاعتقـاد وأهـم لـوازم هـذا الاعتقـاد هي:

1ـ إنَّ الخالق لا يترك خلقه سُدىً دون تزويدهم بكل ما يحتاجونه ماديا ومعنويا لأن ذلك لا يتناسب مع صفاته الكمالية (من الحكمة والرحمة وكمال الجود) فلا بد أنْ يهتم بهداية الناس وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم مما لا يمكنهم بأنفسهم الوصول إليه وذلك من خلال إيصال التعاليم والنصائح والأحكام إليهم بالطريق الذي يراه مناسبا (وهو طريق الأنبياء كما تعتقده الأديان السماوية).

2ـ بما أنَّ هذا الإله عالم وعلمه مطلق (كما ثبت بالبراهين الفلسفية) فلا بد أنْ يكون على المستوى التكويني (الخلق) والتشريعي وإصدار القوانين في غاية الكمال.

3ـ إنَّ هذا الإله عادل لا يظلم ولا يمكن يساوي بين المُحسن والمسيء في هذه الدنيا، ومن لوازم العدل إعطاء كل ذي حق حقه، وبما أنَّ مسرح الحياة الدنيا لا يتحقق فيه هذا الأمر فلا بد من الاعتقاد بتحققه في عالم آخر، وهو ما تؤمن به الأديان السماوية من المعاد ويوم الجزاء.

وبناءً على ما تقدم هناك عناصر أساسية ثلاثة في الرؤية الكونية الإلهية وتنعكس على الأيديولوجيا السياسية الإلهية وهي:

الأوّل: الله سبحانه وتعالى بصفاته الكمالية المطلقة، وهو مبدأ الوجود ومحوره.

ويترتب على هذا أنَّ الله هو منشأ القانون، وأنه الحاكم الحقيقي.

الثاني: الإنسان ذو الجانبين المادي والمعنوي، ولا بد للمبدأ الحكيم أنْ يُلبي احتياجات خلقه المادية والمعنوية، وأهم عنصر في المجال المعنوي هو التواصل معهم وهدايتهم عبر صفوةٍ من خلقة وهم الأنبياء.

ويترتب على هذا بعثة الأنبياء، ولزوم طاعتهم.

الثالث: الحياة ذو الجانبين المادي والمعنوي، وأنها لا تقتصر على الحياة الدنيا بل تستمر في عالم آخر وهو عالم الآخرة؛ لأن الرؤية الكونية الإلهيّة تؤمن بالمعاد تحقيقا للعدل الإلهي، ودفعًا للعبث عن الإله الحكيم، قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ [سورة المؤمنون: 115]

ويترتب على هذا ضرورة لحاظ امتداد حياة الإنسان إلى ما وراء الموت في بناء الأيديولوجيا السياسية الإلهية.

ومن هنا يُعلم أنَّ أية أيديولوجيا سياسية قائمة على الرؤية الكونية الإلهية الصحيحة يجب أنْ تلاحظ وتأخذ بعين الاعتبار هذه العناصر، وأنْ تضع سياساتها وفقا لها.

النتائج المترتبة على الأيديولوجيا السياسية الإلهية:

1ـ الإيمان بالتشريعات الصادرة عن هذا المبدأ، ولزوم إطاعتها.

2ـ الإيمان بأن السلطة والحاكمية الحقيقية لله سبحانه.

3ـ الإيمان بالإنسان على أنه موجودٌ ذو بعدين مادي ومعنوي.

4ـ الإيمان بالمعاد وما يترتب عليه من التزامات.

ب ـ الأيديولوجيا السياسية الماديّة الآثار والنتائج

تنطلق هذه الايديولوجيا من رؤية كونية تؤمن باقتصار الوجود على المادة ولوازمها، ولذلك لا تعتقد بوجود ما وراء الطبيعة، ومن ثَمَّ لا تعتقد بأي تأثير له في الكون عامة، وفي الإنسان خاصة، وكذلك تُنكر العالم الآخر والحياة بعد الموت.

ويترتب على هذه الأيديولوجيا لوازم وهي:

إنكار الرسالات السماوية، وإنكار وجود الأنبياء كأشخاص مرتبطين بالسماء، والاعتقاد بالإنسان ككائن ماديّ موجود ضمن عالم الطبيعة والمادة، منبثقٌ عن هذا العالم متأثرٌ به في وجوده المادي والمعنوي (بالمعنى الذي يتناسب مع الرؤية المادية)، وعليه تؤمن بـ"محورية الإنسان" في ظل الطبيعة، فالإنسان في إطار الطبيعة المادية هو منشأ القانون، وهو منشأ الأخلاق، وهو منشأ السياسة وما إلى ذلك.

وبناءً على ما تقدم فإن العناصر الأساسية في الأيديولوجيا السياسية الماديّة هي:

الأول: عالم الطبيعة، ويقوم هذا العالم مقام المبدأ في الرؤية الكونية الإلهية باعتباره منشأ الإنسان والمؤثِّر الأساسي فيه.

الثاني: الإنسان ذو البُعد الواحد وهو محور الوجود.

الثالث: الاقتصار على التصديق بالحياة الدنيا والسعي إلى تلبية احتياجاتها.

النتائج المترتبة على الأيديولوجيا السياسية المادية:

1ـ الإيمان بأن الإنسان هو مبدأ تشريع القوانين وتُسمّى هذه القوانين بالقوانين الوضعيّة.

2ـ الاقتصار في تشريع القوانين على البُعد المادي من الإنسان وتجاهل الجانب الروحي لعدم الإيمان به.

3ـ تجاهل المعاد في عملية تشريع القوانين لعدم الإيمان به.

4ـ الاعتقاد بأن السلطة والحاكمية للإنسان، لعدم الاعتقاد بوجود ما وراء المادة وخاصة الإله.

المبحث الخامس: أهم الفوارق بين الأيديولوجيا السياسية الإلهية والأيديولوجيا السياسية المادية

أوّلًا: الاختلاف بين الأيدولوجيتين في منشأ القوانين والتشريعات

مما لا شك فيه أنَّ هناك صفات يجب توفرها فيمن يقوم بعملية تشريع القوانين وأهمها صفتان:

الأولى: ينبغي أن يكون المشرع متمتعاً بما لا نهاية له من المعرفة بكل المصالح الفردية والاجتماعية والجسمية والروحية والمادية والنفسية، لكي يتمكن من وضع قانون يشمل أبعاد كيان الإنسان كلها.

الثانية: ينبغي أن يكون المشرع بعيداً عن الأنانية والتعصب الفئوي ويضع القانون طبقاً للحق والعدالة...، وهكذا يجب أن يكون المشرع فضلاً عن الوعي بالمصالح والمفاسد شخصاً لا تؤدي به أنانيته وتعصبه الفئوي إلى إضاعة الحق والعدالة. [مصباح اليزدي، الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه، ص 33 – 34]

أ ـ الأيديولوجيا السياسية الإلهية والتشريع:

تعتقد الأيديولوجيا السياسية الإلهية أنَّ الله هو صاحب الحق في تشريع القوانين لأنّه الخالق والمالك الحقيقي وهو ما يعطيه حق التصرّف في ملكه [انظر: عاشور، تأملات في الفكر السياسي، ص 49]، كما أنه يتصف بصفات الكمال المطلقة وأهمها العلم، والعدل والانصاف مما يجعله الوحيد القادر على تشريع الأحكام المثالية للإنسان. وقد أشار الله سبحانه إلى أنَّ نبيّه لا يحكم الا بما أنزل الله من أحكام وقوانين فضلا عن غيره من الحكام: ﴿**فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ**﴾ [سورة المائدة: 48].

أهم الفروق بين التشريع الوضعي والتشريع السماوي:

1ـ القانون الوضعي تنظيم بشري صاغه الإنسان وفقا لعلمه المحدود، والتشريع

السماوي جاء من عند الله الخالق العالم الحكيم، ولا يستوي ـ عقلا ـ ما صنعه الناس مع ما صنعه رب الناس.

2ـ الذين يضعون القانون الوضعي بشر خاضعون للأهواء والنزعات، وتتغلب عليهم العواطف البشرية، فيقعون تحت تأثيرها فتحيد بهم عن تقدير الحق، ومهما ارتقى الناس في سلم المعرفة فإنهم لا يستطيعون أن يدركوا حقائق الأمور، فتكون القوانين الوضعية عرضة للتغيير والتبديل، فتظل الحياة الإنسانية في اضطراب دائم. وأما الشريعة فهي وحي إلهيٌّ منزّه عن ذلك كله، فهي تنزيل الحكيم العليم، الذي يعلم أحوال عباده وما يصلح معاشهم ومعادهم، وما يحقق لهم الخير في دنياهم وأخراهم، يقول سبحانه وتعالى ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [سورة الملك: 14].

3ـ قواعد القانون الوضعي مؤقتة تختص بمجموعة خاصة من الناس وفي عصر معيّن، وأما قواعد الشريعة فإنها لم تأتِ لقوم دون قوم، أو عصر دون عصر، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ [سورة سبأ: 28]، وقوله: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**﴾ [سورة الأنعام: 19]

4ـ القانون الوضعي لا يتناول سوى المعاملات المدنية، ولا صلة له بعقيدة التوحيد، وأما الشريعة الإلهية الحقّة فإنها تتناول الايمان بالله ورسله وعالم الغيب، وعلاقة العبد بربه، وسلوكه الأخلاقي.

5ـ إنَّ تأثير القوانين الوضعية لا يصل إلى النفس الإنسانية ولا يمكنه ردعها عن الشر، وذلك خلافا للشريعة الإلهية الحقّة التي تنطلق من مبدأ الحلال والحرام وتهذيب النفوس وتزكيتها، والإيمان بالآخرة، وبذلك تُربِّي النفوس والضمائر مما يمثِّل رادعًا باطنيًّا أشدُّ تأثيرا من الرادع الخارجي. [انظر: القطّان، تاريخ التشريع الإسلامي، ص19]

ب ـ الأيديولوجيا السياسية الماديّة والتشريع:

بما أنَّ الأيديولوجيا السياسية الماديّة لا تؤمن بما وراء الطبيعة ولا بالإله الخالق، لذلك ترى أنَّ الحق في تشريع القوانين يرجع إلى الناس أنفسهم، فالناس هم من يضعون القوانين لأنفسهم، فحق التشريع ثابتٌ للفئة التي يتم انتخابها، فالبرلمان باعتباره السلطة التشريعية هو الذي يملك حق إصدار التشريعات والقوانين [انظر: عاشور، تأملات في الفكر السياسي، ص 50]، ولذلك

فإنّه: "من المسلَّمات التي لا تقبل الجدل أن التشريع حقٌّ ثابتٌ للبشر في الأنظمة الديمقراطية" [الهي بخش، حق التشريع بين النظام الديمقراطي والإسلام، ص230]. كما أنَّ "الدساتير البشرية بلا استثناء تُعطي حق التشريع للإنسان، في صورة أفرادٍ منتخبين، وأفراد غير منتخبين" [المصدر السابق، ص255]

وفي ضوء ما تقدّم يتضح أنَّ التشريعات والقوانين البشرية قاصرة بسبب قصور المُشرِّع لها، كما أنّها محدودة بمجموعة خاصة من الناس وهم اللذين لاحظهم الشخص المشرِّع عن وضعه للقانون، وكذلك تختص بزمان محدد، فلا يمكن للإنسان أنْ يضع قانونا يشمل البشرية كلها، كما لا يمكنه وضع قانون يشمل العصور كلها، لأن الإنسان المُقنن مهما كان عالما لا يحيط بالمستقبل ولا بكل الظروف الزمانية والمكانية، ومن هنا تكون القوانين والتشريعات الصادرة عنه محدودة وبحاجة إلى تعديل وتجديد مستمرين، ورغم كل التعديلات تبقى ناقصة ومليئة بالإشكالات.

وقد يُقال: لا بأس بذلك فالإنسان يضع القوانين ثم يجرّبها لفترة من الزمن، وحينما يكتشف فيه ثغرات أو إشكاليات يقوم بتعديلها حسب الحاجة.

وفي الجواب نقول: إنَّ مجال التجارب في المجالات الاجتماعية ليس كمجال التجارب في العلوم الطبيعية، فهناك بينهما فوارق عديدة تؤثِّر تأثيرًا بالغا في النتائج المترتبة عليهما [انظر: الصدر، المدرسة الإسلامية، ص 25 – 32]، فإذا حصل خلل في التجربة الطبيعية يمكن تداركه بدون خسائر أو بأقل الخسائر، لكن الحال ليس كذلك في مجال التجارب الإنسانية وخاصة وضع القوانين إذ يمكن أنْ تترتب عليها أضرار جسيمة لا يمكن تداركها، وتؤثر في بناء المجتمع والأسرة، وفي سلامة الإنسان الماديّة والمعنوية كما نلاحظه في بعض القوانين التي تسنّها التشريعات الغربية المعاصرة من إباحة العلاقات غير الشرعية، والشذوذ، وتشريع قوانين تساهم في هدم الأسرة، فإن مثل هذه القوانين لا يمكن معالجة أضرار بتعديلها بعد حين.

جـ ـ الموازنة بين الأيديولوجيتين:

لا ريب أنَّ الأيديولوجيا السياسية الإلهية من الناحية النظرية تُقدِّم صورة أعلى في مجال تشريع القوانين، فإن المُشرِّع فيها هو خالق الإنسان العالم بكل خفاياه واحتياجاته، المحيطُ بماضيه وحاضره ومستقبله، وهو العادل الذي لا يظلم، والحكيم الذي لا يعبث، ومن هنا تكون تشريعاته كاملة لا يعتريها النقص، بخلاف الأيديولوجيا السياسية الماديّة التي توكل أمر التشريع إلى الإنسان بما يحمله من رؤية ناقصة وبما يمتلكه من علوم

ناقصة دائمة التكامل، فتكون تشريعاته ناقصةً تبعا لعلومه وتصوراته الناقصة، ولو تجاوزنا جهة النقص هذه نواجه مشكلةً أخرى وهي أنَّ الإنسان يمتلك ميولا ورغبات شخصية وفئوية، وتتلاعب بها الرغبات والأهواء والشهوات، وكل هذه الأمور لها تأثيرٌ في الأحكام والتشريعات الصادرة عنه وخاصة اتباع الهوى الذي يُضل الإنسان عن طريق الحق. وقد أشار الله سبحانه إلى التأثير السلبي للهوى قائلا: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**﴾ [سورة ص: 26].

ثانيًا: الاختلاف بين الأيديولوجيتين في منشأ مشروعية السلطة والحاكميّة ونطاقها

وهذا البحث هو الأهم في الأيديولوجيا السياسية فنقول: إنَّ القاعدة الأوليّة العقلية في السلطة تقول: (لا سلطة لشخصٍ على غيره ممن يتساوى معه)، إذ لا مبرر لأن يتحكم شخصٌ فيمن هو مثله وفي مرتبته، نعم للمالك أنْ يتصرف ويحكم في ملكه بحق السلطنة، فمن له الملك له السلطنة تبعا له، وإذا أردنا أنْ نتعرف على الفارق الأساسي بين الأيديولوجيا السياسية الإلهية والأيديولوجيا السياسية المادية في منشأ السلطة يمكننا أنْ نقول:

تؤمن الأيديولوجيا السياسية الإلهية بوجود المبدأ المتعال (الله سبحانه وتعالى) وترى الإسلامية منها على أقل تقدير أنه مبدأ كلِّ شيء سواء بالبرهان العقلي الفلسفي، أو بالدليل النقلي القطعي ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ [سورة الزمر: 62]، ولذلك ترى أنه محور الوجود كله (المحورية الإلهية)، فكل ما سواه مخلوق له خاضع تكوينا لإرادته، وهو المالك الحقيقي لمراتب الوجود كلها مجرّدة أو مادية لأنه المُنشِئُ لها، ويترتب عليه أنه فقط من يمتلك السلطة التكوينية الحقيقية، وله تبعا لهذه السلطنة سلطنةٌ أخرى وهي السلطنة التشريعية والحق الحكم: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّٰهِ**﴾ [سورة الأنعام: 57]، وهذه السلطة التشريعية حقٌّ أصيلٌ تابع للمالكية الحقيقية التي يتمتع بها، كما أنَّ له وحده الحق في تفويض الحكم لمن يراه صالحا لذلك: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ**﴾ [سورة آل عمران: 26].

لا تؤمن الأيديولوجيا السياسية المادية بأي شيءٍ خارج عالم المادّة، ومن هنا نجدها تحصر الوجود كلها في الوجودات المادية، وبناءً على ذلك تتبنى (محورية الانسان) وترى أنَّ الإنسان مالكٌ لنفسه وله الحق المطلق في التصرف فيها، نعم لا سلطة لأحد على أحد بحسب القاعدة الأولية كما تقدّم، وبذلك تُرجِع هذه الرؤية حق الحاكمية والسلطة إلى الناس أنفسهم فكل إنسان يحق له حكم نفسه والتصرف فيها بما يشاء شرط أنْ لا يضر بغيره، وبما أنَّ الانسان

كائن اجتماعي بالطبع ولا بد له من أنْ يعيش ضمن مجموعة وهي ما نسميه المجتمع، ولا بد للمجتمع الإنساني من نظام يلتزم به وحاكمية تقوده، كما أنه لا يمكن للجميع أنْ يتصدوا لعملية الحكم، فإن الناس يمكنهم الاتفاق على اختيار من يحكمهم، وهو ما يُسمى بالعقد الاجتماعي[4]، وتوجد نظريات مادية أخرى من قبل السلطة للأقوى، أو اللاسلطوية (الأناركية: Anarchism) والتي يُطلق عليها أيضاً (الفوضوية) التي تذهب بكل اتجاهاتها إلى أنَّ: "السلطة السياسية في كلِّ أشكالها، وخاصةً في شكل الدولة، شريّرةٌ وغير ضروريةٌ معًا، ولذلك يتطلع الفوضويون إلى قيام مجتمع بدون دولة من خلال إلغاء القانون والحكومة" [أندرو هيود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، ص215].

ثالثًا: الاختلاف في منشأ السلطة القضائية

وهو مترتبٌ على من بيده التشريع ومن له الحكم والسلطة، فيتم تعيين السلطة القضائية نتيجة لتحديد الموقف فيهما. فإن الرؤية الكونية الإلهية ترى حق التشريع بيد الله سبحانه وحده، وكذلك الحق في الحاكمية والسلطة له سبحانه وينصب لذلك من يراه مناسبا، ويتبع ذلك السلطة القضائية فإن القاضي والقضاء في الرؤية الكونية الإلهية شأنٌ إلهي يتبع السلطتين التشريعية والتنفيذية، وأفضل بيانٍ لذلك ما ورد في القرآن الكريم: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**﴾ [سورة ص: 26]. فإن القضاء تابعٌ لجعل الله إنسانًا معيّنًا خليفة له في الأرض بما يمتلكه من مواصفات خاصة، وعليه أنْ يحكم بين الناس بالحق، وكذلك خطابه لنبيه ﷺ: ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**﴾ [سورة المائدة: 49]، فالحكم يجب أنْ يكون بما أنزل الله، أي مستندًا إلى الرؤية الإلهية، وليس نابعًا من الرؤية الإنسانية.

وأما الرؤية الكونية المادية فبما أنها تجعل الإنسان محورًا لها، فإن السلطة التشريعية والتنفيذية ترجع إلى الناس، وتتبعهما السلطة القضائية فإنها شأنٌ إنسانيٌّ تابع لتشريعاته التي يراها مناسبةً بحسب المصالح والمفاسد التي يحددها.

المبحث السادس: أهم الأيديولوجيات السياسية الماديّة المعاصرة

4- العقد الاجتماعي: اتفاق افتراضي بين الأفراد أقاموا من خلاله الدولة حتى ينجوا من عدم النظام أو الفوضى. [اندرو هيود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية هامش ص54]. وهناك كتاب يحمل عنوان: العقد الاجتماعي أو مبادئ الحق السياسي من تأليف جان جاك روسو حيث وضع نظريته حول أفضل طريقة لإقامة المجتمع السياسي في مواجهة مشاكل المجتمع.

هناك الكثير من الأيديولوجيات السياسية في عالمنا المعاصر من قبيل: الليبرالية، المحافظة، الاشتراكية، القومية، اللاسلطوية (الفوضوية)، الفاشستية، الأصولية الدينية. [انظر: أندرو هيود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، ص5]. وبعض هذه الأيديولوجيات ذات أبعاد عديدة أخلاقية وسياسية واقتصادية، وبعضها خاص بالمجال السياسي، والمهم في بحثنا هو بُعدها السياسي، ونحن في هذا البحث سنقتصر على أهم الأيديولوجيات المؤثِّرة السائدة في عالم السياسة المعاصر والتي تتبناها الأنظمة السياسية المعاصرة وتتخذها منهاجها لها، وهي (الليبرالية، والاشتراكية، والشيوعية، والقومية، والدينية) فنسعى إلى وضع كل واحدة من هذه الأيديولوجيات تحت الرؤية الكونية المناسبة لها سواء إلهية أو ماديّة.

أوّلًا: الأيديولوجيا الليبرالية (Liberalism)

الليبرالية في الأصل مصطلحٌ أجنبيٌّ مُعرّب، مأخوذ من (Liberalism) في الإنجليزية، و(Liberalisme) في الفرنسية، وتعني: (التحررية)، ويعود اشتقاقها إلى (Liberty) في الإنجليزية، و (Liberte) في الفرنسية، بمعنى الحرية [انظر: شحاته صقر، الإسلام والليبرالية، ص23]. ويُعد الفيلسوف التجريبي الإنجليزي "جون لوك" (John Locke) من أهم روّاد الليبرالية في عصر النهضة من خلال النظريّة السياسية والمبادئ التي تبناها في بعض رسائله وأهم تلك المبادئ عند لوك هي: حق الحياة والحفاظ عليها، وحق الحريّة الذي يتساوى فيه الجميع، وحق الملكية الخاصة لكل إنسان [انظر: عبد المنعم عباس، راوية، جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، ص 106]

والليبرالية اليوم تُمثِّل أيديولوجيا أو مذهب فكري يركز على الحرية الفردية، ويعتقد أنَّ الوظيفة الأساسية للدولة هي حماية حريات المواطنين مثل حرية التفكير، والتعبير، والملكية الخاصة، والحرية الشخصية وغيرها، ويقوم هذا المذهب على أساس علماني يدور حول محور الإنسان ويرى أنّه مستقل بذاته في إدراك احتياجاته، كما أنَّ النظام الليبرالي الجديد بدأ يضع الإنسان بدلا من الإله في كل المجالات، فالناس بعقولهم المفكرة يمكنهم أن يفهموا كل شيء، ويمكنهم أن يطوروا أنفسهم ومجتمعاتهم عبر فعل نظامي وعقلاني [انظر: مجموعة من المؤلفين، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، ج1، ص190].

أهم القيم الليبرالية: الفرد، الحرية، العقل، العدالة، التسامح. [انظر: أندرو هيود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، ص44]

الخلاصة: الليبرالية أيديولوجيا تقوم على الرؤية المادية، والمحور الأساسي فيها هو الإنسان بجانبه المادي، ولا دور للرؤية الإلهية فيها ولا للبعد الميتافيزيقي، فهي رؤية مادية خالصة.

النقاش: بحسب الرؤية الكونية الإلهية لا توجد مشكلة في هذه المفاهيم والقيم في حد ذاتها، لكن المشكلة تكمن في تفسيرها ودائرة تطبيقها، فالحرية التي تدعو إليها الليبرالية هي حرية مطلقة بنحوٍ ما وغير منضبطة كذلك، والعدالة أيضاً لها تفسير خاصٌ في الليبرالية، وكذلك سائر القيم. ومن خلال التأمل في مبادئ الليبرالية وقيمها بالتفسير الليبرالي يثبت بوضوح أنها أيديولوجيا ماديّة قائمة على أساس الرؤية الكونية المادية، ولا تتناسب بحالٍ مع الرؤية الكونية الإلهية، ومن يتبناها ممن يدعي أنه يحمل رؤية كونية إلهية فهو على خطأ تام، نعم توجد قيم في الرؤية الإلهية تحمل بعض هذه العناوين من قبيل الحرية والعدالة والعقل والتسامح، لكنها مختلفةٌ تماما عن التفسير المادي ويحمل روحا معنوية ونطاقا محددا، ومن يدّعي أنَّ الحرية وأمثالها لا ينبغي تقييدها فهو على خطأ لأنها دون قيود تكون أسوأ من الاستبداد المطلق.

ثانيًا: الأيديولوجيا السياسية الديمقراطية (Democracy)

الديمقراطية: مصطلح مُعرَّب للمفردة اليونانية (lδημοκρατία dēmokratía)، وتعني حرفياً «حكم الشعب»، وتُشير إلى شكل من أشكال الحكم يشارك فيها جميع المواطنين المؤهلين على قدم المساواة ـ إما مباشرة أو من خلال ممثلين عنهم منتخبين ـ في اقتراح، وتطوير، واستحداث القوانين. وهي تشمل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تمكن المواطنين من الممارسة الحرة والمتساوية لتقرير المصير السياسي. ويطلق مصطلح الديمقراطية أحيانا على المعنى الضيق لوصف نظام الحكم في دولة ديمقراطيةٍ، أو بمعنى أوسع لوصف ثقافة مجتمع. [انظر: شبّر، ملامح نظام الحكم السياسي، نظام الحكم الجمهوري على ضوء المبادئ الدستورية العامة، ج1، ص76؛ وكذلك انظر: العدوي، عبد الفتاح، الديمقراطية وفكرة الدولة، المقدمة].

وقد عرّفها إبراهام لنكولن بقوله: "الديمقراطية هي حكم الشعب بواسطة الشعب ولأجل الشعب" [علاء محمد مطر، الديمقراطية وحقوق الإنسان، ص5]

وأما الاستبداد فهو عبارةٌ عن وصفٍ: "لأشكال متعددة من الحكم على رأسها حكام لديهم سلطة لا قيد عليها" [عبد الله حنا، أعلام العقلانية والتنوير ومجابهة الاستبداد، ص13]

وقد عبّر عنه عبد الرحمن الكواكبي بقوله: "يراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصة...، والاستبداد في اصطلاح السياسيين هو: تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة" [انظر: الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص15]

ومما تقدّم يتضح أنَّ الديمقراطية: نظام سياسي يتم فيه اتخاذ القرارات بناءً على إرادة الشعب، حيث يحق للمواطنين المشاركة في عملية صنع القرار من خلال الانتخابات والمشاركة السياسية.

وأما الليبرالية فهي: نظام سياسي يرتكز على حماية حقوق الفرد وحرياته، وتكون الحكومة مُلزَمة بالحفاظ على حقوق الأفراد ولا يحق لها التدخل في حرياتهم الشخصية. ولا تنكر الليبرالية ضرورة وجود قوانين وضوابط للحفاظ على النظام والأمن العام، ولكن يجب أن تحقق هذه القوانين توازنًا بين حماية الحريات الفردية والمصلحة العامة.

والخلاصة هي: إنَّ الحكم الديمقراطي يدور حول محور المشاركة السياسية واتخاذ القرارات بناءً على إرادة الشعب المباشرة أو غير المباشرة، بينما الحكم الليبرالي يدور حول محور حماية حقوق الأفراد وحرياتهم.

وعليه يتضح أنَّ هناك خطأً شائعا يخلط بين الليبرالية والديمقراطية ويراهما متطابقين مضمونًا وأهدافًا، لكن الصحيح هو أنهما مختلفان كما تقدَّم بيانه.

ومما تقدم في تعريف الديمقراطية وبيانها يتضح أنها أيديولوجيا ماديّة لا تأخذ بعين الاعتبار المسائل الإلهية في منهاجها النظري والعملي، فهي من النظريات الأنسنية التي تجعل الإنسان محورًا لها، ولا دور للإله فيها.

نقاش الديمقراطية ونقدها:

اختلفت آراء المفكرين الإلهيين (المسلمين خاصة) حول العلاقة والنسبة بين الأيديولوجيا السياسية الإلهية والديمقراطية ويمكن القول بأن هناك رأيان أساسيان وهما: (التنافي، والانسجام):

الرأي الأول: وهو الرؤية التقليدية للمفكرين الإلهيين المسلمين الذين يرون أنَّ الديمقراطية مفهوم غريبٌ عن الفكر الإلهي وقد تم تحميله على المجتمعات الإسلامية من قبل المتغربين والعلمانيين، ويستدل هؤلاء على ما ذهبوا إليه بأن الرؤية الإلهية تؤكّد على حاكمية الله

ومن نصبه، ورفض حاكمية الناس بما هم ناس، ورفض حكم الأغلبية مهما كان، وإنما المناط في الرؤية الإلهية على حاكمية الله وشرائعه وسننه، يقول العلامة الطباطبائي: "غاية ما كانت تدعو إليه الحكومات الاجتماعية الديمقراطية وما يشابهها أن ينظم أمر المجتمع على حسب ما يقترحه هوى أكثرية الأفراد أيا ما اقترحه فضيلة أو رذيلة وافق السعادة الحقيقية العقلية أو خالفها" [الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 7، ص 277].

الرأي الثاني: وقد ذهب إليه التنويريون والمجددون الإسلاميون فهم يرون عدم التنافي بل الانسجام بين الأيديولوجيا السياسية الإلهية والديمقراطية، وهؤلاء المفكرين من قبيل عباس محمود العقاد، والشيخ يوسف القرضاوي، وفهمي هويدي، وآخرون، يقول العقاد: "إنَّ شريعة الإسلام كانت أولى الشرائع السبّاقة إلى تقرير الديمقراطيّة الإنسانيّة؛ وهي الديمقراطيّة التي يكتسبها الإنسان كحقٍّ له يُخَوِّله أن يختار حكومته". [العقاد، الديمقراطية في الإسلام، ص 33].

كما حاول البعض ربط الأيديولوجيا الديمقراطية ببعض النظريات الإسلامية من قبيل نظرية الشورى وهو المبدأ الذي يتبناه أهل السنة في تعيين الحاكم، وفي اتخاذ القرارات السياسية، ويناقش فيه الشيعة ويرفضونه في بعض الموارد وعلى أقل تقديرٍ في تعيين الإمام بعد النبي ﷺ لأنهم يرون هذا شأنًا إلهيا لا دخل للناس فيه.

الرؤية المعتدلة

وقد فصل الباحثون في العلاقة بين الديمقراطية والرؤية الإلهية عامة والإسلامية خاصة بقوله: "إذا اعتبرنا الديمقراطية مذهباً اجتماعياً قائماً بذاته فليس لنا أن نقول إنها من الإسلام، أو أن الإسلام يقبلها ويستسيغها ويتضمنها، إذ هما مذهبان مختلفان في أصولهما وجذورهما، أو فلسفتهما ونتائج تطبيقها". [الصَّلابي، علي محمد، الشورى فريضة إسلامية، ص 192]

وبما أننا نبحث الديمقراطية باعتبارها مذهبا اجتماعيا سياسيًا قائما بذاته فليست من الرؤية الإلهية في شيء، وعليه فالصحيح أنْ يُقال: إنَّ الديمقراطية بمفهومها المعاصر "الديمقراطية هي حكم الشعب بواسطة الشعب ولأجل الشعب" كما تقدّم تدخل في باب النظريات المنضوية تحت الرؤية الكونية المادية، وهي من النظريات العلمانية حالها حال الاشتراكية والليبرالية، ومجرد وجود بعض أوجه الشبه بين ما تبنته الرؤية الإلهية عامة والإسلام على الخصوص لا يجعل هذه النظرية إلهية أو إسلامية.

ثم يقول الباحث نفسه: "إذا نظرنا إليها على أنها اتجاه يحارب الفردية والاستبداد والاستئثار والتمييز، ويسعى في سبيل جمهرة الشعب ويشركه في الحكم، وفي مراقبة الحكام، وسؤالهم عن أعمالهم ومحاسبتهم عليها، فالإسلام ذو نزعة ديمقراطية بهذا المعنى بلا جدال، أو أن للإسلام ديمقراطيته الخاصة به أي نظامه يمنع استبداد الحكام واستئثارهم، ويمكن الشعب من مراقبتهم ومحاسبتهم" [المصدر الاسابق]. وهو ما نعبّر عنه بالمقبولية ففي هذه الدائرة يبرز دور الناس أو الشعب أو الأمة والشورى، فلولا تقبّل هؤلاء لا تقوم حكومة، كما أنَّ الدين نفسه لو لم يقبله أحد من الناس عصيانا وكفرا لا يمكن تطبيقه على أرض الواقع، ونحن في الأيديولوجيا السياسية الإلهية لا ننكر دور الناس في الحكومة والحاكمية، لكن هذا الدور يقتصر على المقبولية، لا المشروعية، فإن مشروعية الحكومة والحاكم من الله.

ثم إنَّ الديمقراطية وإنْ لم تقم على أساس فلسفيٍّ محدد، لكنها تبقى أيديولوجيا ونظام مادي كما يقول محمد باقر الصدر: "فإنّها الديمقراطية الرأسمالية] وإن كانت نظاماً مادّياً ولكنّها لم تبنَ على أساس فلسفيٍّ محدَّد" [الصدر، فلسفتنا، ص 39].

ثالثًا: الأيديولوجيا السياسية الاشتراكية (Socialism)

مصطلح الاشتراكية بدأ استخدامه في عام 1828م في المملكة المتحدة، ثم أصبح مألوفا في أربعينيات القرن التاسع عشر في عدد من البلدان الصناعية. وتحددت الاشتراكية كأيديولوجيا بمعارضتها التقليدية للرأسمالية، وبمحاولة تقديم بديل أكثر إنسانية وقِيمًا من الناحية الاجتماعية، وتُعد المساواة القيمة المركزية بل والمُحدِدة للاشتراكية، وخصوصا المساواة الاجتماعية، ويرى الاشتراكيون أنّها تُشجّع الحرية بمعنى أنها تُشبع الاحتياجات الماديّة وتُقدِّم أسس التنمية الشخصية. [انظر: أندرو هيود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، ص125]

ويمكن تعريف الاشتراكية بأنها: "نظام اجتماعي متكامل يختلف عن النظام الرأسمالي من حيث إلغاء الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، وعدم وجود طبقات". [مجموعة من المؤلفين، مفاهيم إسلاميه، ج1، ص 29]

أبرز ملامح الاشتراكية وقيمها: الجماعة (الإخاء)، والتعاون (بدلا من التنافس)، والمساواة (المساواة الاجتماعية أو المساواة في الناتج)، والملكية العامة أو المشتركة (الجهد الجماعي للعمل البشري هو الذي يُنتج الثروة، فينبغي أنْ يمتلكها المجتمع وليس الأفراد).

ولكل واحد من هذه المفاهيم تفسيرا خاصا تطرحه الاشتراكية، وبعضها مطروحٌ في أيديولوجيات أخرى لكنه بمعنى مختلف عن تفسير الاشتراكيين له. [انظر: أندرو هيود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، ص125 وما بعدها]

النقاش: في ضوء تعريف الاشتراكية والمبادئ التي تقوم عليها يتضح أنها داخلةٌ ضمن دائرة الأيديولوجيا السياسية الماديّة؛ لأنها ناشئة عن رؤية كونية مادية، ولا يوجد في مبادئها أي لحاظ للرؤية الكونية الإلهية.

يُبيّن الشهيد السيد محمد باقر الصدر الاشتراكية في أشهر مذاهبها تقوم على النظريّة الماركسية والماديّة الجدلية، وهي فلسفة خاصة للحياة، وفهمٌ ماديٌّ لها. [انظر: الصدر، فلسفتنا، ص 65]

كما يتضح من خلال ذلك أيضًا أنَّ الاشتراكية كمذهب اجتماعي واقتصادي وسياسي يقوم على أساس الفكر المادي، ومجرّد وجود بعض أوجه الشبهة مع الرؤية الإلهية لا يجعله داخلا ضمن الرؤية الكونية الإلهية أو منسجما معها كما ذهب إليه بعض المفكرين المسلمين قائلا: "لقد اخترت القول باشتراكية الإسلام لأني أعتقد أنَّ الاشتراكية نزعة إنسانية تتجلى في تعاليم الأنبياء" [انظر: السباعي، مصطفى، اشتراكية الإسلام، ص6]، لكن باحثين آخرين يرفضون ذلك مؤكّدين على التنافر بينها وبين الرؤية الإلهية، ومن هنا يقول أحد الباحثين في بيان النظام الاشتراكي: "يقوم هذا النظام على فلسفة ماديّة للحياة، ويتفاوت في تطرفه تفاوت مذاهبه المختلفة" [القطان، موقف الإسلام من الاشتراكية، ص13].

وخلاصة النقاش للاشتراكية كنظام سياسي واجتماعي هو: إنَّ هذه الأيديولوجيا تقوم على أساس الرؤية الكونية الماديّة، وهي رؤية بشريّة خالصة، ومجرّد أنها تشترك أو تتشابه مع بعض القوانين والتشريعات القائمة على الرؤية الكونية الإلهية لا يعني دخولها في هذه الرؤية، لأنه ما من رؤيتين إلا ويوجد بينهما بعض أوجه الشبه، المهم هو منشأ الأفكار القائمة عليها والهدف منها، فإن المفكِّر المادي يدّعي السعي وراء العدل والمساواة، وكذلك المفكِّر الإلهي، لكن الأهداف والوسائل تختلف بينهما، كما يختلف تفسير هذه المفاهيم إلى حدٍّ قد يصل إلى ما يقارب التباين، ومن هنا يتم تصنيف المبادئ والأهداف والمفاهيم ضمن هذه الرؤية الكونية أو تلك كما هو الحال في العدل وما هو المقصود منه وما هي طُرق وأساليب تحقيقه في المجتمع فإن لكل من الرؤية الكونية الإلهية وتتبعها الأيديولوجيا السياسية الإلهية الناشئة عنها، والرؤية الكونية الماديّة و الأيديولوجيا السياسية التابعة لها

مناهـج وطـرق في تحقيقـه وإقامتـه.

رابعًا: الأيديولوجيا السياسية الشيوعية (Communism)

تُطلـق الشـيوعية على "التنظيـم الاجتمـاعي والاقتصـادي المبـني على الملكيـة المشـتركة مـن جهـة، وعلى تدخـل الدولـة في حيـاة الأفـراد مـن جهـة ثانيـة" [صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ج1، ص715]. وقـد عـرَّف البعـض الشـيوعية على أنهـا: "تصـور شـامل للكـون والحيـاة والإنسـان، ولقضيـة الألوهيـة كذلـك، وعـن هـذا التصـور ينبثـق المذهـب الاقتصـادي. ثـم إن الأوضـاع السياسـية والفكريـة والاجتماعيـة المصاحبـة له هي مجـرد انعـكاس له". [محمـد قطـب، مذاهـب فكريـة معـاصرة، ص 259]، كمـا عرَّفهـا بعـضٌ آخـر بأنهـا: "مذهـب فلسـفي مـادي إلحـادي غـير أخـلاقي، اسـتبدادي، يـرى أن المـادة هي أصـل وأسـاس كل شيء، يفـسر التاريـخ تفسـيراً ماديـاً، يرجعـه إلى العوامـل الاقتصاديـة وصراع الطبقـات" [الجهنـي، الموسـوعة الميـسرة في الأديـان والمذاهـب المعـاصرة، ص 309].

الشـيوعية هي نظـام اجتمـاعي لا طبـقي، تقـوم فيـه الملكيـة الواحـدة للشـعب بـأسره على وسـائل الانتـاج، والمسـاواة الاجتماعيـة التامـة بـين جميـع أعضـاء المجتمـع...، ويتحقـق المبـدأ العظيـم "مـن كل حسـب كفاءاتـه ولـكل حسـب حاجاتـه". [انظـر: الصـدر، اليـوم الموعـود، ص 339]

وأمـا الأيديولوجيـا السياسـية الشـيوعية فـهي: الأيديولوجيـا السياسـية القائمـة على أسـاس النظريـة الشـيوعية ومبادئهـا الأساسـية مـن قبيـل: إقامـة نظـام سـياسي اجتمـاعي لا طبـقي، تكـون فيـه ملكيـة وسـائل الانتـاج للشـعب بـأسره، والمسـاواة الاجتماعيـة التامـة بـين أعضـاء المجتمـع كلهـم، وهي الأسـس الـتي تُدافـع عنهـا الأحـزاب السياسـية الشـيوعية، والدول القائمـة على أسـاس الأيديولوجيـا الشـيوعية.

رؤية الشيوعية للميتافيزيقيا والدين

اشـتهرت مقولـة كارل ماركـس (Karl Marx) عـن الديـن القائلـة: "الديـن أفيـون الشـعب" [B. McKown, Delos, The Classical Marxist, P52]، وكذلـك يقـول فريدريـك انجلـز (Friedrich Engels): "إنَّ الطبيعـة توجـد وجـودًا مسـتقلا، وهي الأسـاس الذي نشـأنا عليـه نحـن البـشر وترعرعنـا، ونحـن أنفسـنا نتـاج لهـا، وليـس ثمّـة شيءٌ آخـر خـارجٌ على الطبيعـة" [الجعـلي، الإيمـان باللـه والجـدل الشـيوعي، ص30]، وكذلـك يقـول: "ومـا الكائنـات العليـا الـتي خلقتهـا خيالاتنـا وأوهامنـا الدينية سـوى الانعـكاس الوهـمي لكينونتـا" [المصدر السابق]. وقـد تحـدّث جوزيـف سـتالين (Joseph Stalin) عـن مسـألة الإله قائـلا: "إنَّ العالـم يتطـوّر تبعًـا لقوانـين حركـة المـادة، وهـو ليـس بحاجـةٍ لأي إلٰه"

[المصـدر السـابق، ص 32].

أهم الأفكار الشيوعية

1ـ الإيمـان بالمـادة فقـط وإنـكار مـا وراء المـادة، 2ـ التفسـير المـادي للتاريـخ، 3ـ معـاداة الديـن، 4ـ محاربـة الملكيـة الفرديـة، 5ـ محاربـة نظـام الأسرة. [انظـر: الحمـد، الشـيوعية، ص53 – 58]

النقـاش: يمكـن أنْ يُقـال إنَّ الشـيوعية تحمـل رؤيـة كونيـة ماديّـة تُنكـر مـن خلالهـا مـا وراء الطبيعيـة، وتقـف في الجانـب الآخـر للرؤيـة الإلهيـة بشـكل عام، وللديـن بشـكل خـاص وكذلـك الأيديولوجيـا السياسـية القائمـة عليهـا أيديولوجيـا ماديـة خالصـة. يقـول الشـهيد الصـدر: "إنَّ هـذا المذهـب الذي تمثَّـل في الاشـتراكية الماركسـية، ثـمّ في الشـيوعية الماركسـية، يمتـاز على النظـام الديمقـراطي الرأسـمالي بأنّـه يرتكـز على فلسـفة ماديّـة معيّنـة، تتبـنّى فهمـاً خاصّـاً للحيـاة، لا يَعـترف لهـا بجميـع المثُـل والقيـم المعنويـة، ويعلِّلهـا تعليـلاً لا موضـع فيـه لخالـق فـوق حـدود الطبيعـة، ولا لجـزاء مرتقـب وراء حـدود الحيـاة المادّيـة المحـدودة" [الصـدر، فلسـفتنا، ص 39]. وعليـه نلاحـظ أنَّ الشـيوعية تحمـل رؤيـة فلسـفية ماديّـة، وفهمـا خاصًّـا للحيـاة لا مجـال فيـه للأمـور المعنويـة ولا الموجـودات العليـا المجـرّدة عـن المـادة، ولا الـروح، ويتبـع ذلـك إنـكار الجـزاء في عالـم الآخـرة، وهمـا الركيزتـان الأساسـيّتان لـكل رؤيـة كونيـة إلهيـة وتتبعهـا الأيديولوجيـا السياسـية الإلهيـة، أي الايمـان بـالإله، والإيمـان بالبعـث والجـزاء.

خامسًا: الأيديولوجيا السياسية القومية (Nationalism)

القومية العربية

التعريـف: "حركـة سياسـية فكريـة متعصبـة، تدعـو إلى تمجيـد العـرب، وإقامـة دولـة موحـدة لهـم، على أسـاس مـن رابطـة الدم واللغـة والتاريـخ، وإحلالهـا محـل رابطـة الديـن. وهي صـدى للفكـر القـومي الذي سـبق أن ظهـر في أوروبـا" [الجهنـي، الموسـوعة الميسـرة في الأديـان والمذاهـب والأحـزاب المعـاصرة، ج 1، ص 444].

لقـد تأسسـت الحركـة القوميـة العربيـة كحركـة في نهايـات القـرن التاسـع عـشر وبدايـات القـرن العشريـن أي في أواخـر سـيطرة العثمانيـين على العالـم العـربي، وربمـا تكـون ردّة فعـلٍ لبعـض تصرفـات العثمانيـين العنصريـة تجـاه العـرب، ثـم أصبحـت علنيّـة بعـد ذلـك متخـذةً مـن

بيروت ودمشق مركزًا لها، ثم أصبحت أيديولوجيا سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول المنعقد في باريس في عام 1912م. [انظر: المصدر السابق]

يمكن القول بأن غالبية المنتمين للحركة القومية كانوا من الأقليات الدينية (المسيحيون في الغالب)، ولم تتحول إلى حالة عامّة إلا عندما تبناها الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر (1918 ـ 1970م) وقد عُرفت عنه مقولته الشهيرة: "نحن مع القومية العربية مجتمعةً من المحيط الأطلسي إلى الخليج الفارسي"، لكن هذه الأيديولوجيا تعرضت لانتكاسات شديدة حتى أصبحت هامشيّة في أيامنا هذه. كما دعت إلى إحياء الأيديولوجيا القومية العربية كثير من الحركات والأحزاب لعل أبرزها حزب البعث العربي الاشتراكي[5].

النقاش: من الواضح أنَّ الأيديولوجيا القومية عامة والعربية خاصة خارجةٌ عن الرؤية الكونية الإلهية فتخرج تبعا لذلك عن الأيديولوجيا السياسية الإلهية، لأنّ الأساس في الأيديولوجيا القومية هو المعايير القومية والعنصرية دون أي لحاظٍ للرؤية الإلهية، ويرى الداعون إلى الفكر القومي أنَّ أهم الأسس التي تُبنى عليها القومية العربية هي: اللغة، والدم، والأرض، والتاريخ والآمال المشتركة، على اختلاف بينهم في ترتيبها بحسب الأهمية، ولا نرى أي تواجد للدين أو أي مسألة إلهية ضمن هذه الأسس مما يعني أنها رؤية ماديّة علمانية ترى انحسار دور الدين في الشأن الشخصي الخاص [انظر: الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج 1، ص 446]

يقول ساطع الحصري وهو من أهم منظري القومية العربية: "إنَّ أس الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية هو: وحدة اللغة، ووحدة التاريخ..، لا الدين، ولا الدولة، ولا الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية" [الحصري، ما هي القومية، ص 210]، وهذه العبارة تكشف بوضوح عن ابعاد الدين عن هذه الأيديولوجيا، فيتضح أنها رؤية علمانية تدخل ضمن الرؤية الكونية المادية.

سادسًا: الأيديولوجيا السياسية الإلهية

تقدّم أنَّ الأيديولوجيا السياسية الإلهية تقوم على الرؤية الكونية الإلهية، ومن هنا تصطبغ

5- تأسس حزب البعث العربي الاشتراكي في عام 1947م في سوريا على يد ثلاثة من دعاة القومية العربية وهم: ميشيل عفلق، وصلاح الدين البيطار، وزكي الأرسوزي.

كل معالمها بهذه الرؤية، ويمكن أنْ نلخص أهم معالمها فيما يلي:

أ- الإيمان بعالم ما وراء الطبيعة، وعلى رأسه الإيمان بالإله، وفي أسمى صوره الإيمان بالتوحيد بمختلف أنحاءه (التوحيد الذاتي، والتوحيد في الخالقية، وفي الألوهية، وفي الربوبية)، وتخصيص الحكم والتشريع بالله، ووجوب التسليم له.

ب- الإيمان بصفات المبدأ الإلهي الكاملة، وأهم تلك الصفات هي صفة العدل على مستويي التكوين والتشريع.

جـ- الإيمان بالاتصال بعالم ما وراء المادة، وهو عبارة عن الايمان بالوحي الإلهي ودوره الأساسي في بيان الأحكام والتشريعات الإلهية، والإيمان بالإمامة والولاية المستمرة.

د- الإيمان بكرامة الإنسان واختياره وحريته مع مسؤوليته أمام وجدانه وأمام الله تعالى.

ز- الإيمان بالحياة الأخرى، وأنَّ الحياة الدنيا ما هي إلا مقدّمة لتلك الحياة الأبدية، ويتجلى ذلك بالإيمان بالمعاد وبدوره البناء في مسيرة الإنسان التكاملية إلى الله.

ويمكن تلخيص ذلك كله بعنصرين أساسيين وهما: المبدأ الإلهي بصفاته العليا وأهمها العدل، والإنسان الحر المختار الذي يمتلك إمكانية بلوغ الكمال المعنوي، ولا تنتهي حياته بالحياة الدنيا الماديّة بل تمتد وتستمر إلى ما بعد الموت بحياة أرقى وأسمى.

وعلى أساس هذه العناصر الخمسة تقوم الأيديولوجيا السياسية الإلهية، وأي أيديولوجيا تتجاهل عنصرٍ من عناصرها لا يمكن عدّها أيديولوجيا سياسية إلهية، فضلا عن تلك الأيديولوجيا التي تتجاهلها كلها كما هو الحال في الأيديولوجيات السياسية السائدة في عالمنا المعاصر.

الخاتمة

أهم النتائج التي تمخّض عنها هذا البحث هي:

1ـ أنَّ أي نظرية أو فلسفة في الحياة أو أيديولوجيا لا بد من قيامها على رؤية كونية معيّنة، ويؤدي اختلاف الرؤية الكونية إلى اختلاف الأيديولوجيا الناشئة عنها بلا ريب؛ لأن الرؤية الكونية هي الأساس والمبنى الذي قامت عليه تلك الأيديولوجيا التي يمكن القول بأنها الجانب العملي للرؤية الكونية، ومن هنا لا بد من قيام الأيديولوجيا السياسية على رؤية كونية سواء إلهية أو ماديّة، وتعني الأيديولوجيا عامة والسياسية خاصة تحديد ما ينبغي وما لا ينبغي في المجال المخصصة له، وهذه الأيديولوجيا هي المدرسة التي تدعو الإنسان إلى هدف معيّن وتحدد له هدف سياسي معيّن، كما تحدد له طريق الوصول إلى ذلك الهدف.

2ـ إنَّ العلاقة بين الرؤية الكونية والأيديولوجيا السياسية هي من قبيل علاقة المعلول (الأيديولوجيا السياسية)، بعلته الناقصة (الرؤية الكونية)، فالأيديولوجيا السياسية مثلا بحاجة إلى رؤية كونية، لكن الرؤية الكونية لا تكفي لوحدها لتعيين أيديولوجيا سياسية بشكل ذاتي، وإنما ينبغي ضم مقدمات أخرى إليها كما تقدم بيانه في البحث لكي تنشأ عنها أيديولوجيا معينة، فإذا كانت الرؤية الكونية صحيحة، والمقدمات الملحقة بها صحيحة، وطريقة التنظيم والاستنتاج صحيحة، تنشأ حينئذ أيديولوجيا سياسية صحيحة.

3ـ الرؤية الكونية الإلهية هي الرؤية الكونية التامة لأنها تلاحظ الوجود الحقيقي كله، ولا تتجاهل شيئا منه، بخلاف الرؤية الكونية المادية فإنها رؤية ناقصة لأنها لا تؤمن بوجودٍ وراء المادة، وينعكس هذا التمام والنقص على الأيديولوجيات السياسية الناشئة عنها فتكون الأيديولوجيا السياسية الإلهية كاملة شاملة لأنها مبنية على الرؤية الكونية كونية كذلك، وذلك بخلاف الأيديولوجيا السياسية الماديّة فإنها ناقصة تبعا لبنائها على رؤية كونية ناقصة.

4ـ هناك عنصران أساسيان في الأيديولوجيا السياسية الإلهية وهما: الإله بصفاته العليا، والإنسان الحر المختار الذي يتمتع بقابلية الكمال المعنوي.

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

أحمد أنور، النظرية والمنهج في علم الاجتماع، مصر، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، بلا طبعة، 2014 م.

أندرو هيود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2012 م.

ابن منظور، محمد، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3، 1414 هـ.ق.

الجعلي، فتح الرحمن، الإيمان بالله والجدل الشيوعي، جدّة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط1، 1984 م.

الجهني، مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، دار الندوة العالمية، ط4، 1420 هـ.ق.

الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407 هـ.ق.

الحصري، ساطع، ما هي القومية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، نوفمبر 1985 م.

الحمد، محمد إبراهيم، الشيوعية، الرياض، دار ابن خزيمة، ط1، 2002 م.

الشريف الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، طهران، ناصر خسرو، بلا تاريخ.

الصدر، محمد، اليوم الموعود، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط1، 1412 هـ.ق.

الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ص14، 1981 م.

الصدر، محمد باقر، المدرسة الإسلامية، القاهرة بيروت، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني، ط1، 2011 م.

الصدر، محمد باقر، فلسفتنا، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط3، 2006 م.

الصّلابي، علي محمد، الشورى فريضة إسلامية، دمشق ـ سوريا، دار ابن كثير، 2015 م.

الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم، مؤسسة إسماعيليان، ط2، 1390 هـ.ق.

الطباطبائي، محمد حسين، نهاية الحكمة، قم، مركز انتشارات موسسه آموزشي و پژوهشي امام خميني رحمه الله عليه، ط4، 1386 هـ.ش.

العبود، الرؤية الكونية الإلهية الدوافع والمناهج، بلا مكان، نور للدراسات، ط2، 2012 م.

العدوي، عبد الفتاح، الديمقراطية وفكرة الدولة، مصر ـ الجيزة، وكالة الصحافة العربية ناشرون، 2019.

العروي، عبد الله، مفهوم الأيديولوجيا، الدار البيضاء ـ المغرب، المركز الثقافي العربي، ط8، 2012 م.

العقاد، عباس محمود، الديمقراطية في الإسلام، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، 2014م.

القطان، مناع، موقف الإسلام من الاشتراكية، الرياض، دار الثقافة الإسلامية بالرياض، بلا تاريخ.

القطّان، مناع، تاريخ التشريع الإسلامي، القاهرة، مكتبة وهبة، ط5، 2001 م.

الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، 2010 م.

الهي بخش، حق التشريع بين النظام الديمقراطي والإسلام، اسلام اباد ـ باكستان، مجلة البصيرة، المجلد1، العدد1، 2012 م.

خاكي قراملكي، الأيديولوجيا دراسة في المصطلح والمفهوم وحقول الاستعمال، النجف، العتبة العباسية، ط1، 2020 م.

زكريا، جاسم، المدخل إلى علم السياسة، سوريا، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، بلا طبعة، 2018 م.

زلغوط، يوسف، الأيديولوجيا ووظائفها السياسيّة، بيروت، مجلة أوراق ثقافية، مجلد3، العدد 12، 2021 م.

ستالين، جوزيف، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ترجمة: حسين قوجمال.

شبر، رافع، ملامح نظام الحكم السياسي، نظام الحكم الجمهوري على ضوء المبادئ الدستورية العامة، مصر ـ القاهرة، المركز العربي للدراسات والبحوث العلمية، ، ط1، 2020 م.

عاشور، زهير، تأملات في الفكر السياسي، المنامة ـ البحرين، دار الوفاء، ط1، 2021 م.

عبد الله حنا، أعلام العقلانية والتنوير ومجابهة الاستبداد، حلب، نون للنشر والطباعة، ط1، 2011 م.

عبد المنعم عباس، راوية، جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، بيروت، دار النهضة العربية، 1996 م.

علاء محمد مطر، الديمقراطية وحقوق الإنسان، فلسطين، جامعة الإسراء، ط2، 2019.

غيضان، الإيديولوجيا في الدين والسياسة، مجلة الاستغراب، بيروت، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد 6، شتاء 2017.

مجموعة من الباحثين بإشراف عَلوي السقاف، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، الناشر: موقع الدرر السنية dorar.net.

مجموعة من المصنفين، الموسوعة الإسلامية العامة، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ مصر، ط1، 2003 م.

مصباح اليزدي، محمد تقي، الإيديولوجية المقارنة، بيروت، دار المحجة البيضاء، ط1، 1992 م.

مصباح اليزدي، محمد تقي، الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه، ترجمة محمد شقير، بيروت، دار الهادي، 2004 م.

مصباح يزدي، دروس في العقيدة الاسلامية، بيروت، دار الرسول الأعظم، ط8، 2008 م.

مطهري، مرتضى، الرؤية الكونية التوحيدية، طهران، منظمة الاعلام الإسلامي، ط2، 1989 م.

وهبه، مجدي ـ المهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 1984 م.